ومن آخر اشعاره التي لا تزال خطًّا قصيدة تلاها يوم عيد الجلوس المايوني وتدشين سكة الحجاز واصفًا الثانية بقوله:

فكان الشام مفتخرًا شكورًا لما نال الحجاز من الهباتِ
حباهُ معجزات العصر تسعى على عجلٍ لأرض المعجزاتِ
تضمّ ربى فلسطين لتجدٍ لنفع منى بسلسلة الصلاتِ
وتجعل ثغر بحر الروم شوقًا يقبّل جيد ضفّات الفراتِ
مدائن صالح تسري اليها مدائن بالحديد مشيداتِ
واعمدة البخار بها تحاكي منائر للناسك داعياتِ
يسير بها الحجيج على ازدحامٍ يريك الموج ضمن المركباتِ
قوافل في الفدافد ساريات نواقل للجبال الراسياتِ
عظائم تدمر اضحت لديها اثافيّ في قفارٍ صاغراتِ

ستأتي البقية

تفوّق العقول

قرأت الرواية التالية في مجلة العالم الانكليزيّة وهي حقيقية ولو وضعت لها اسماء مصطنعة فترجمتها فكاهة لقراء المقتطف

سليم الخوري

بقلم سكرتير مالي السودان

لما بلغ اورلوف الثامنة عشرة من عمره توفي والدهُ وكان مستخدمًا في احدى شركات التعدين فلم يترك لهُ مالاً يذكر فاضطر ان يعيل والدتهُ وشقيقتهُ اذ لا ركن لهما سواهُ ولم يكن واسع الاختبار في دنياهُ ولكنهُ كان ثاقب الفكر بعيد النظر فرسخ في ذهنهِ انهُ سيقلد وظيفة سامية يستطيع بها القيام بحاجيات عائلتهِ وراحتها وكان يعرف خمس لغات واعلن عن نفسهِ في الصحف فنال وظيفة في معمل كبير الاّ ان اجرتهُ لم تكن مساوية لمعارفهِ وتعابهِ الشاقة وغير كافية لان تقوم بنفقات عائلتهِ فترك المعمل بعدما استخدم فيهِ يومين فقط

وقرأ ذات يوم اعلانًا في احدى الصحف ان شركة من شركات التعدين في القوقاس تحتاج الى شاب لهُ المام بالكتابة والحساب ويعرف اللغة الروسية جيدًا . والطلبات تقدم

الى مدير الشركة في باكو . فقدّم طلبًا فقبل فيها براتب قدرهُ عشرون ريالاً في الشهر والشركة فرنسوية ايطالية

فسافر الى محل عملهِ وكلهُ آمال وقد قال لوالدتهِ وهي تودعهُ على المحطة سابذل جهدي يا اماهُ لادرك النجاح هذه المرة وثقي بانني سامير موظفًا كبيرًا في هذه الشركة . فتبلّلتهُ والدموع تذرف من عينيها ولكنها اظهرت الجلد . ولما مشى القطار شيعتهُ بابتسام كانها تشجعهُ وتشدد عزائمهُ . ثم عادت الى بيتها والحزن آخذ منها كل مأخذ لفراق وحيدها لاسيما وان هذا الفراق كان الاول ووصل ابنها الى محطة باكو والشمس آذنة بالمغيب فقصد قهوة المحطة ليتناول قليلاً من الطعام وكانت امارات الكآبة والهموم تلوح محياهُ لانهُ قضى ساعات سفرهِ مفكرًا في والدتهِ وشقيقتهِ وحالها بعد سفرهِ وشغل بالهُ ايضًا ان راتبهُ الشهري الذي سيتناولهُ لا يكفيهِ لقوتهِ الضروري . وما زالت هذه الافكار تجول في خاطرهِ الى ان دخل القهوة غريبان وجلسا قبالتهُ من غير ان يلتفتا اليهِ وجعلا يتكلمان باللغة الايطالية وكان يعرفها جيدًا فتناقشا في امور سياسية وانتقلا الى العمال في روسيا فقالا ان اجرتهم من اتعس اجور العمال في العالم . ولم يدر في خلدهما ان ذلك التلاميذ البائس يفهم الايطالية لانهُ قرقازي والقوقاز بعيدة عن ايطاليا ولا تزال في طور الخشونة . فقال احدهما ودليلنا على بخس الاجور اننا ننتظر اليوم شابًا روسيًا استخدم في شركتنا بعشرين ريالاً في الشهر ولا بد ان يكون كاتبًا ماهرًا كما هو المشهور عن شبان الروس وسننتفع بمعارفهِ كثيرًا . وسنربح من عملهِ اضعاف راتبهِ . فلزم اورلوف الصمت مع انهُ ادرك حالاً انهُ هو الشاب المقصود وان مخدميهِ عازمون على اجهادهِ وهضم حقوقهِ . فقال في نفسهِ سنرى من الذي يفوق الآخر أأنتم ايها الايطاليون الاغبياء ام انا القلام الروسي . لقد جئتم الى بلادنا لكي ترقوها وتستمروها ولكن لنفع انفسكم ولا لوم عليكم في ذلك وانما لاحق لكم ان تربحوا من اجهاد عقولنا وتخرموننا ما يقضي بهِ العدل والانصاف . ثم خرج الرجلان وخرج هو في اثرهما وقصد محل الشركة ومثل بين يدي المدير فقال لهُ

— كم تبلغ من العمر يا بنيّ

— تسعة عشر عامًا يا سيدي

— اظنك فهمت ان راتبك عشرون ريالاً في الشهر

— نعم

— اذن تعال غدًا وابدأ بالعمل وساعات العمل عندنا من السابعة ونصف صباحًا الى

السابعة مساء . هل تعرف لغة اجنبية

— لا اعرف غير الروسية والبولونية

— كنت اظن ان جميع شبان الروس يتكلمون الفرنسوية والالمانية والانكليزية

— اود من صميم قلبي ان اعرف هذه اللغات واظن انني لو كنت اعرفها لكنت انال مئة ريال راتباً شهرياً

— طبعاً كنت تنال . فتعال غداً الساعة السابعة ونصفاً صباحاً لاستلام اعمالك

فشكرهُ وخرج . وبينما هو سائر كان يناجي نفسهُ قائلاً لقد صار هذا المدير في قبضة يدي وساذكّرهُ بوعدهِ وهو اعطائي مئة ريال في الشهر متى اريتهُ انني اعرف اللغات التي ذكرها اما الآن فساتبع براتبي واتقن عملي

وكان الاجتهاد حقاً فيهِ فيقضي صحابة يومهِ مجدًّا مكدًّا بهمة لا تعرف الملل وكان ينسخ التقارير التي باللغات الاجنبية ويقول انهُ يرسلها رسماً ولا معرفة لهُ بتلك اللغات . ومضى عليهِ نحو عام وهذه حالهُ ولم يخبر المدير انهُ انهُ يعرف تلك اللغات حاسباً ان الوقت لم يحن لذلك

وحدث ذات يوم ان المدير تاولهُ تلغرافين ليبعث باحدهما الى فرنسا والآخر الى ايطاليا يدعو فيهما مديري الشركة وكبار مساهميها الى الاجتماع للمداولة في امر هام يتعلق باعمال الشركة . فارسل التلغرافين وفي صدرهِ نار للوقوف على ذلك الامر . وصنع يوماً رئيس مهندسي الشركة يكلم المدير منفرداً وامامهما خريطة كبيرة وقد عُلّم على بعض المواضع فيها بقلم احمر وكان امامهما حجارة يظهر للناظر ان فيها مقداراً وافراً من الحديد

وكان المدير والمهندس يتكلمان بالايطالية فعرف من حديثهما انهُ اكتشفت ارض تحوي كثيراً من الحديد . فادرك ان التلغرافين اللذين امرهُ بارسالهما متعلقان بهذه الارض فقال في نفسهِ لقد حان الوقت لان اصير غنياً وذلك بابتياع الارض قبلهم من صاحبها ومشاركتهم في استخراج الحديد منها

وخرج عمال الشركة في المساء الاَّ اورلوف فانهُ تظاهر ان لديهِ اعمالاً متراكمة وكثيراً ما كان يفعل ذلك قبل الآن لا قصد المظاهرة ليكون المدير راضياً عنهُ وانما كان يعمل حقيقةً ولو لم يكافئهُ المدير على اجتهادهِ . فلبث الآن بضع دقائق مكبًّا على عملهِ ولما تأكد انهُ لم يبقَ احد غيرهُ في المكتب دخل غرفة المدير وكانت الخريطة لا تزال على

المائدة فجعل يتأملها حتى تمكن من معرفة الجهة المُعلَّم عليها بالقلم الاحمر ورسم الخريطة رسماً يستطيع بهِ معرفة بقعة الارض المرموز اليها واخذ حجراً من الحجارة وكانت لا تزال على المائدة وانصرف الى منزلهِ . وسهر معظم ليلتهِ وهو يفحص الحجر و يدعم فيهِ النظر وما تبلج الفجر حتى كان على محطة السكة الحديد فارسل الى امهِ التلغراف التالي

" ارسلي لي كل ما تستطيعين ارساله من النقود يعي حلاكِ وحلى شقيقتي اذا دعت الحال وبعد يومين اشرح لكِ فالمشروع عظيم الشأن اسرعي اسرعي "

وكان يعلم حب والدتهِ لهُ وثقتها بهِ وقال في نفسهِ لا بد ان ترسل اليَّ النقود التي طلبتها ولكن ما العمل اذا كان المهندس مخطئاً في بحثهِ . ألا اكون قد خاطرت بمالها وجلبت عليَّ وعليها الشقاء بدلاً من السعادة بذهاب ثمن الارض جزافاً

ولما وصل التلغراف الى امهِ قالت في نفسها ان ابني لا يطلب هذا الطلب الاَّ لمشروع خطير الشأن فالساعة السعيدة التي طالما حدَّثت نفسهُ بها وهندس قد دنت فطب ياولدي نفساً فسوف احقق املك

وفي اليوم التالي جاءهُ ساعي التلغراف وهو في مكتب عملهِ بثلاثة تلغرافات منها اثنان للمدير وواحد لهُ ففضهُ وقرأهُ مبتسماً وهو " ارسلت لك التي ريال وادعوا لك النجاح "

والدتك

ودخل علي المدير بعد نصف ساعة واستأذنهُ في الغياب عن العمل بعد الظهر لقضاء اعمال خاصة بهِ ولما كان الشغل في ذلك اليوم قليلاً لانهُ كان على رؤساء الاقلام ان يتداولوا في المشروع الجديد اذن لهُ في الحال . فالتهم غداءهُ وهو غير مصدق وقصد مكتب البوستة حيث قبض الحوالة واكترى عربة الى الجهة المقصودة فسارت بهِ نحو ساعتين حتى وصلت الى بيت حقير من بيوت الفلاحين فدخل البيت ووجد فيهِ رجلاً كهلاً جالساً مع زوجتهِ فحياها بلطف تردا التحية باحسن منها وقدما اليهِ كرسيًّا فجلس عليهِ وقال ان وقتي قصير جدًّا لاني اروم العودة الى المدينة باسرع ما يمكن وقد اتيتكما لامر تكما منهُ ربح . فابتهج الرجل وقال لهُ اظنك آتٍ لشراء الغنم لانهُ يربي غنماً ويبيعها . فقال لا وانما جئت لاشتري شيئاً آخر وهو ارضك . فانذهل الرجل من ذلك لانهُ لم يكن يخطر على بالهِ ان احداً يقصد رشدهُ و يشتري منهُ ارضاً جرداء لا ينبت فيها شيء ثم قال اورلوف نعم جئت لاشتريها وسانقدك الثمن في الحال . فابرقت اسرة الرجل ورمقهُ بعينين ملئها السرور واخذ يتفرس فيهِ تارة وينظر الى امرأتهِ اخرى واورلوف يطلب منهُ الجواب ثم قال يا عماهُ أتريد ان

تبيعني الارض ام لا — ان كنت لا تريد فقل ذلك واسرع ليتسنى لي الذهاب الى احد جيرانك واشتري منهُ ارضاً غيرها. فقال الرجل اروم ذلك من صميم فؤادي ولكن استغرب جداً كيف يخطر على بال مخلوق شراء ارض لا فائدة منها قال هذا واشار الى الارض بيده فانتهرتهُ زوجتهُ وقالت لا تصدقهُ فالارض جيدة جداً وهي سهلة الاصلاح وهمست في اذن زوجها قائلة اسكت . اما الشاب فتظاهر بعدم المبالاة وقال كم تطلب ثمنها يا عماه. فقالت زوجتهُ لا تخاطب زوجي فهو لا يعرف الاَّ ان يبيع الغنم والبيض فاعطنا الف وخمس مئة ريال وبارك الله لك فيها . فتوقف اورلوف قليلاً كأنهُ يفكر في الامر ثم قال قبلت ان ادفع لكما هذا المبلغ وسأدفعهُ في مكتب سجل الاراضي ومتى الآن عربة في انتظاري. فتركهما الى المدينة سويَّة . وما كادت المرأة تسمع ذلك حتى ارتدت ثوباً احمر وربطت رأسها بمنديل اصفر وقالت لهُ هلمَّ يا سيدي . اما زوجها فكان واقفاً حائرًا لانهُ لم يكن مصدقاً فهمس في اذن امرأتهِ قائلاً اما ان نكون في حلم واما ان يكون هذا الشاب قاصداً الضحك علينا والاستهزاء بنا . فانتهرتهُ وقالت اسكت وتعال معنا فارتدى خير ملابسهِ في الحال وجاء بحجة الارض وركب الثلاثة العربة وبعد ساعتين وصلوا مكتب السجل حيث عملت الاجراءات الرسميَّة وصارت الارض ملكاً شرعيًّا لاورلوف وحمل الفلاح رزمة من الاوراق المالية يبلغ الف وخمس مئة ريال وقال لهُ اورلوف لا بأس ان تبقى انت وامرأتك في البيت الذي في الارض الى ان اعلمكما بتركهِ . فقبَّلا يدهُ وساروا وسار هو الى منزلهِ

***

انبأ التلغرافان اللذان جاءا مع تلغراف اورلوف من مديري الشركة بانهم قادمون وقد عينوا يوم الاثنين التالي للاجتماع فزاد الشغل في المكتب لكي يروا كل شيء مستكمل النظام واشتغل اورلوف بهمة ونشاط كسابق عادتهِ حتى سرَّ رئيسهُ منهُ سروراً عظيماً فوعدهُ بابلاغ راتبهِ الى ثلاثين ريالاً في اول العام المقبل فشكرهُ على ذلك

وجاء يوم الاجتماع ودخل المديرون وكبار المساهمين والمهندسين الى غرفة متسعة واخذوا يباحثون ويتذاكرون نحو خمس ساعات فقرر رأيهم على شراء تلك الارض وقرروا المال اللازم للباني والآلات والاماكن التي يضعون فيها الوابورات ويحفرون المناجم الى غير ذلك وان يذهبوا كلهم بعد تناولة الشاي الى الارض ليروها ويشتروها ولم يطل الوقت حتى سارت بهم اربع عربات الى تلك الارض

اما اورلوف فبقي في مكانهِ يشتغل ولما رآهم خارجين منشرحي الخاطر امتلأ صدرهُ املاً وسروراً وهنا ظهرت قوة الفكر ودنت ساعة مباراة العقول وكان اورلوف يعلم علم اليقين انهُ اذا بقي مستخدماً عندهم لم يكن الاَّ آلة تنصب ليكسبوا وتجتهد ليربحوا فرأى ان يعاملهم بالمثل

ولما دنا وقت اقفال المكتب عاد جماعة المديرين والمساهمين والكاتبة تعلو وجوههم امارات السخط بادية على اساريرهم . وارسل المدير اليهِ فدعاهُ الى مكتبهِ حيث كان الجميع في انتظارهِ والقلق سائد عليهم ولما مثل بين ايديهم قال لهُ المدير أتعرف رجلاً اسمهُ مثل اسمك قد اشترى قطعة ارض من الفلاح كاربوف

— نعم اعرفهُ

— هل هو من اقاربك

— لم تحزر تماماً وانما هو انا

— ماذا تقول انت — ولماذا اشتريت هذه الارض

— لانهُ توفر لديَّ مبلغ من النقود فاشتريت بهِ ملكاً وزد على ذلك فاني كنت ابحث في تلك الجهات فتبين لي ان هذه الارض تحوي حديداً فاشتريتها من صاحبها

— فهمت — ولكن هل تبيعها اذا طلبتها منك الشركة التي انت في خدمتها

— طبعاً ابيعها بكل سرور ولكن بربح

فاجابهُ المدير بكل لطف وتؤدة لا ريب في الربح يا صديقي . ثم نظر الى الحاضرين وترجم لهم ما دار بينهُ وبين اورلوف لانهُ كان يكلمهُ بالروسية ثم التفت الى اورلوف وقال ما هو الثمن الذي تطلبهُ بهذه الارض

— ان ذلك يتوقف على رأس المال الذي ستقررونهُ للتعدين فيها

— انهم قصدك تماماً من هذا

— الامر بسيط يا سيدي فاني اعني بان ابيع الارض لكم بنصف رأس مال مشروعكم فما يخصني بدفع لي نصفهُ نقداً والنصف الآخر اسهماً اساسية

— لا ريب انك مجنون

— ربما اكون كذلك يا سيدي ولكني لا اصدق انك تعني ما تقول ومع هذا فانك لم تدعني اكمل شروطي في هذا البيع لزيادة عما طلبتهُ اريد ان أُعيَّن مديراً دائماً للمشروع

— مديرًا

— نعم يا سيدي فهذه هي شروطي ولا ابيع الارض باخس مما طلبت

فالتفت المدير الى الحضور وترجم لهم ذلك . وليتصوّر القارئ الدهشة والاضطراب اللذين استوليا عليهم اما اورلوف فكان واقفًا هادئًا ساكنًا وعلى وجهه علامات السلطة والاعتماد على النفس ثم التفت اليهم بغتة وخاطبهم باللغة الفرنسوية بلهجة فصيحة وقال

ايها السادة اظن انكم للتم مزية لم ينلها غيركم وهي اعطائي اياكم سبلة لتتروي في طلباتي الى الند فاذا رفضتم قبولها افتطران اسافر الى لندن لكي اؤلف شركة اخرى للتعدين في هذه الارض وان قبلتموها عقدت الاتفاق معكم غدًا ووقعناهُ في مكتب السجل وإلا فانا كما سبقت فقلت لكم قاصد لندن سريعًا

ثم حيّاهم وانصرف ونعموا في حيرة وارتباك ولا سيما المدير فقد اخذ العجب منهُ كل مأخذ لانهُ سمع كاتبًا صغيرًا يراتب زعيد يخاطب هؤلاء الرجال العظام باللغة الفرنسوية وقد نطق بها احسن منهُ

وفي الصباح جاء ساعٍ الى اورلوف يحمل اليهِ كتابًا لطيفًا من مديري الشركة يدعونهُ فيهِ الى الحضور في منتصف النهار الى مكتب الشركة . فحضر في الميعاد واخذ السجل معهُ ليكون ناصحًا لهُ ومساعدًا ودخلا غرفة الاجتماع فأجلسا في صدرها فقال الرئيس انني بالنيابة عن اعضاء الشركة اقول اننا قبلنا الشروط التي اشترطتها يا مسيو اورلوف لانهُ لا يوافقنا ان تزاحمنا شركة اجنبية في هذه الجهات . وان راس المال الذي تقرر العمل بهِ هو مليونا ريال تدفع الشركة منهُ لك خمس مئة الف ريال نقدًا وتعطيك اسهمًا بخمس مئة الف ريال ايضًا وقد عينتك مديرًا لها

***

قال الراوي والنجم الذي نتج في تلك الارض لاستخراج الحديد هو الآن من اعظم المناجم الروسية وقد صار اورلوف من ذوي اليسار وهو رئيس هذه الشركة ومديرها الاول . وجميع العمال يحبونهُ حبًّا عظيمًا ويجلون مقامهُ كثيرًا ومع ذلك لا يزال يعمل بجد واجتهاد النهار بطوله ولا حاجة بنا الى القول ان والدتهُ واختهُ عائشتان الآن اسعد عيشة

[المقتطف] يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع بظاهره انهُ لا يعرف اللغة الفرنسوية وفي اطلاعه على اعمال رؤسائهِ التي كانوا يودون اخفاءها فان الخداع يفسد اشرف المناقب . ونجاح الخادع لا يفرق عن نجاح السارق